الإحالة بالضمير في سورة الأحزاب دراسة نصية

م.م . عمر منصور علي العيساوي

مكان العمل / وزارة التربية ـ المديرية العامة ـ لتربية الانبار

Pronominal Reference in Surat Al-Ahzab: A Text-Linguistic Study

Name: Assistant Lecturer Omar Mansour Ali Al-Issawi
Workplace: Ministry of Education General Directorate of Education in Anbar
omar.m.ali@aliraqia.edu.iq

الملخص باللغة العربية

يهدف البحث إلى بيان أثر الإحالة بالضمير في بناء التماسك النصي والدلالة السياقية في سورة الأحزاب. واعتمد المنهج الوصفي التحليلي، مع استقراء المواضع الممثلة لضمائر المتكلم والخطاب والغيبة، وتصنيف الإحالة بحسب مجالها واتجاهها ومداها، والاستعانة بالتحليل النحوي والسياقي والتفسير المقارن عند تعدد المرجع. وأظهر التحليل أن الضمير لا يؤدي وظيفة التعويض عن الاسم فحسب، بل ينظم انتقال الخطاب ويحافظ على استمرارية المراجع ويربط المحاور الكبرى في السورة. كما تبين أن حدود القول المحكي والبروز الموضوعي والملاءمة الدلالية قرائن حاسمة في تعيين المرجع، وأن التحول الضميري قد يؤدي وظائف التنبيه والتشريف والتوبيخ وتقريب المشهد من غير أن يخل بالتماسك. وبرزت الآيات ٥ و٣٣ و٣٧ و٥٣ و٥٩ و٧٢ بوصفها نماذج دالة على الإحالة إلى الحدث والمرجع المركب وتعدد أطراف الخطاب. ويخلص البحث إلى أن تحليل الضمير ضمن السلسلة والمقطع أقدر على تفسير وظيفته من عزله في حدود الجملة.

الكلمات المفتاحية: الإحالة الضميرية؛ التماسك النصي؛ سورة الأحزاب؛ لسانيات النص؛ مرجع الضمير.

المستخلص باللغة الإنكليزية

This study examines the role of pronominal reference in constructing textual cohesion and contextual meaning in Surat Al-Ahzab. It adopts a descriptive-analytical approach and analyzes representative occurrences of first-, second-, and third-person pronouns according to reference domain, direction, and span. Grammatical, contextual, and comparative exegetical evidence is used where reference is disputed. The analysis shows that pronouns do more than replace nouns: they regulate shifts in discourse, sustain referential continuity, and connect the surah's major thematic strands. Boundaries of reported speech, thematic salience, and semantic compatibility emerge as decisive criteria for identifying antecedents. Pronominal shifts also perform rhetorical functions without disrupting cohesion. Verses 5, 33, 37, 53, 59, and 72 provide especially significant instances of event reference, composite antecedents, and multiple discourse participants. The study concludes that pronouns are best interpreted within their referential chains and discourse segments rather than as isolated sentence-level forms.

Keywords: pronominal reference; textual cohesion; Surat Al-Ahzab; text linguistics; antecedent.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

لا يستقيم النظر في النص القرآني بالوقوف عند حدود الجملة المفردة؛ لأن الدلالة تتكون كذلك من الصلات التي تصل الجملة بما قبلها وما بعدها، ومن تفاعل العناصر النحوية والدلالية والمقامية في بناء وحدة الخطاب. ومن هنا اتجهت لسانيات النص إلى دراسة الوسائل التي تجعل سلسلة من الجمل نصًا متماسكًا، فبحثت في الإحالة والاستبدال والحذف والوصل والتكرار والعلاقات المعجمية، وربطت النصية باجتماع السبك والحبك والقصدية والمقبولية والإعلامية والمقامية والتناص . وهذا الاتجاه الحديث لا ينفصل عن جهود عربية قديمة أدركت أن النظم يقوم على تعليق الكلم بعضها ببعض، وأن المعنى لا يستقل عن ترتيب الألفاظ وصلاتها السياقية .

وتأتي الإحالة في مقدمة وسائل السبك؛ لأن العنصر المحيل لا يستوفي دلالته مستقلًا، وإنما يوجه المتلقي إلى عنصر آخر يستمد منه التفسير. وقد يكون المرجع سابقًا أو لاحقًا أو معلومًا من المقام، فتتكون رابطة دلالية بين موضعين أو أكثر. وتعد الضمائر أكثر العناصر الإحالية دورانًا؛ لخفتها، وقدرتها على النيابة عن الأسماء، واستمرارها في تتبع المشاركين من غير إعادة أسمائهم في كل موضع. ومن ثم فإن تحديد مرجع الضمير ليس عملًا شكليًا، بل مدخل إلى فهم العلاقات بين الجمل ورصد استمرار الموضوع وحسم وجوه من الدلالة قد يختلف فيها المفسرون.

وتبرز سورة الأحزاب مجالًا ملائمًا لهذا النوع من الدراسة؛ لما تشتمل عليه من تنوع المقامات والمتكلمين والمخاطبين والمرجعيات. فهي تنتقل بين خطاب النبي صلى الله عليه وسلم، وخطاب المؤمنين، والحديث عن المنافقين وأهل الكتاب وأزواج النبي وأهل بيته، وبين وصف وقائع الأحزاب وتنظيم شؤون الأسرة والمجتمع وبيان الأحكام

والآداب. وهذا التنوع يجعل الضمائر عنصرًا رئيسًا في ضبط انتقال الخطاب، وتمييز الجماعات والشخصيات، وربط المقاطع، وحفظ وحدة السورة مع تعدد موضوعاتها.

مشكلة البحث وأسئلته

تكمن المشكلة في أن كثيرًا من الدراسات النحوية تكتفي بتصنيف الضمير من حيث الظهور والاستتار والاتصال والانفصال والموقع الإعرابي، في حين أن وظيفته النصية أوسع؛ إذ يبني روابط تتجاوز الجملة، ويحافظ على استمرارية المرجع، ويوجه الانتقال بين أصوات الخطاب. وتزداد الدقة في سورة الأحزاب لتجاور خطابات النبي والمؤمنين وأزواجه والمنافقين وجماعات أخرى، ولوجود ضمائر يتباعد مرجعها أو يحتمل أكثر من وجه. ومن ثم يتمثل السؤال الرئيس في: كيف أسهمت الإحالة بالضمير في بناء التماسك النصي والدلالة السياقية في سورة الأحزاب، وما أثر تنوع الضمائر واتجاهاتها ومراجعها وتحولها في تفسير الآيات وربط المحاور؟

١- ما مفهوم الإحالة الضميرية في الدرس العربي ولسانيات النص، وما موقعها بين وسائل الاتساق؟

٢- ما أنماط ضمائر المتكلم والخطاب والغيبة في السورة، وكيف تنتظم في سلاسل وظيفية؟

٣- ما أنواع الإحالة من حيث المجال والاتجاه والمدى، وما القرائن التي تضبط تعيين المرجع؟

٤- كيف تؤثر الإحالة والتحول الضميري في السبك وبناء المحاور والتفسير والبلاغة؟

أهداف البحث

يهدف البحث إلى تأصيل مفهوم الإحالة الضميرية، وتحليل نماذجها الرئيسة في سورة الأحزاب، وتحديد مراجعها واتجاهاتها ومداها، وبيان أثرها في السبك وبناء المحاور الموضوعية، والكشف عن أثر تعيين المرجع في التفسير والبلاغة.

المنهج والحدود والإجراءات

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، واستعانت بالاستقراء النوعي للمواضع الممثلة للسلاسل الضميرية الكبرى في سورة الأحزاب، وبالتحليل السياقي والنحوي في ترجيح المراجع، وبالتفسير المقارن عند اختلاف أقوال المفسرين. وتقتصر المادة على الضمائر الظاهرة والمستترة ذات الأثر النصي أو التفسيري. ويجري التحليل وفق خطوات ثابتة: إثبات الآية، وتحديد موطن الشاهد، وبيان نوع الإحالة واتجاهها، وتعيين المرجع وقرينته، ثم تفسير دورها في التماسك والدلالة. وقد روعي ألا يقدم القرب اللفظي على السياق والمعنى، وألا يحسم موضع خلافي بقرينة صرفية واحدة.

الدراسات السابقة

١. تامر أنيس، "الإحالة في القرآن الكريم: دراسة نحوية نصية"، ٢٠٠٨: قدمت الدراسة إطارًا عامًا لتصنيف أدوات الإحالة ومراجعها في القرآن الكريم، وأفاد البحث الحالي منها في بناء المفاهيم الإجرائية، مع تخصيص التطبيق بسورة الأحزاب.

٢. نائل محمد إسماعيل، "الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني: دراسة وصفية تحليلية"، ٢٠١١: ركزت الدراسة على وظيفة الضمائر في الترابط، في حين يجمع البحث الحالي بين السلسلة الإحالية والمدى والأثر التفسيري.

٣. إبراهيم جميل محمد إبراهيم، "الإحالة الضميرية في القرآن الكريم: سورة طه نموذجًا"، ٢٠١٦: طبقت الدراسة الإحالة الضميرية على سورة طه، وأبرزت القيمة النصية للضمير في وصل المقاطع.

٤. أمير رفيق عولا المصيفي، "الإحالة بالضمائر في سورة الإنسان ودورها في الانسجام النصي"، ٢٠١٨: درست الدراسة ضمائر سورة الإنسان من منظور الانسجام، بينما تتميز سورة الأحزاب بتعدد جهات الخطاب وطول السلاسل.

٥. ميساء طه خماس، "الإحالة الضميرية وأثرها في التماسك النصي للقرآن الكريم: سورة الملك أنموذجًا"، ٢٠١٩: بينت الدراسة أثر الضمائر في تماسك سورة الملك، وأفاد البحث منها في ربط الشكل النحوي بالوظيفة النصية.

٦. شفق يوسف، "الإحالة بالضمير في سورة يس: دراسة في التماسك النصي وفق نموذج فان دايك"، ٢٠٢٠: وظفت الدراسة نموذجًا نصيًا محددًا، أما البحث الحالي فيوازن بين النحو ولسانيات النص والتفسير.

٧. حمد عبد الله السيف، "التماسك النصي في سورة التكوير من خلال الإحالة الضميرية: دراسة نصية"، ٢٠٢٣: حللت الدراسة سورة قصيرة، بينما يختبر البحث الحالي الإحالة في سورة مدنية متعددة المحاور والأصوات.

موقع البحث من الدراسات السابقة

يتميز البحث بدراسة سورة الأحزاب ضمن شبكة إحالية موحدة تجمع ثلاثة مستويات: الضبط النحوي للضمير، وتحليل السلسلة والاتجاه والمدى، والنظر التفسيري عند تعدد المرجع. كما يوازن بين الاقتصاد الذي تحققه الضمائر وبين إعادة الاسم الظاهر لضبط المرجع، ويفرق بين تغير المرجع والتحول الأسلوبي والالتفات.

التمهيد

الإحالة: علاقة دلالية تجعل تفسير عنصر لغوي متوقفًا على عنصر آخر داخل النص أو خارجه (Halliday & Hasan, 1976, pp. 31–33).

الإحالة الضميرية: ربط الضمير بمرجعه اعتمادًا على المطابقة والنحو والسياق والمقام؛ فتتجاوز وظيفته النيابة عن الاسم إلى حفظ استمرارية المشاركين في الخطاب (عفيفي، ٢٠٠١).

المرجع: الاسم أو الذات أو الجماعة أو الحدث أو المضمون الذي يستمد منه الضمير تفسيره (خطابي، ١٩٩١، ص ١٧–١٨).

الإحالة النصية والمقامية: تكون نصية إذا وجد المرجع داخل النص، ومقامية إذا استمد من مقام التخاطب أو المعرفة المشتركة (خطابي، ١٩٩١، ص ١٦–١٩).

الإحالة القبلية والبعدية: القبلية تعود إلى مرجع سابق، والبعدية يتقدم فيها العنصر المحيل ويتأخر مفسره (عفيفي، ٢٠٠١).

المدى الإحالي: المسافة النصية بين الضمير ومرجعه، وقد تكون قريبة داخل الآية، أو متوسطة بين آيات، أو ممتدة عبر مقطع (مصطفى محيي الدين، ٢٠١٧).

السلسلة الإحالية: تعاقب اسم ظاهر وضمائر أو تعبيرات متعددة تحافظ على مرجع واحد عبر النص (الزناد، ١٩٩٣).

التماسك النصي: الروابط اللغوية التي تصل أجزاء النص وتجعله وحدة قابلة للتفسير، ومنها الإحالة والحذف والوصل والاتساق المعجمي (De Beaugrande & Dressler, 1981).

سورة الأحزاب سورة مدنية، عدد آياتها ثلاث وسبعون، وتتميز بتنوع موضوعاتها مع اتصالها بمحور بناء الجماعة المؤمنة في علاقتها بالله ورسوله والأسرة والمجتمع

والعدو. تبدأ بتوجيه النبي إلى تقوى الله واتباع الوحي والتوكل، وتبطل آثار التبني الجاهلي، وتقرر منزلة النبي في الجماعة، ثم تعرض ميثاق النبيين ومشهد غزوة الأحزاب وما كشفته من إيمان ونفاق. وبعد ذلك تنتقل إلى تنظيم البيت النبوي، وقصة زيد، ووظائف الرسالة، وأحكام الزواج وآداب دخول البيوت والحجاب والجلباب، ثم تختم بذكر الساعة ومصير الكافرين والأمانة ومسؤولية الإنسان.

لا يقوم ترتيب هذه الموضوعات على التسلسل الزمني وحده، وإنما تربطها مراجع متكررة وسلاسل ضميرية ممتدة. فالنبي حاضر منذ المطلع إلى أواخر السورة بضمائر الخطاب والغيبة، والمؤمنون ينتقلون من مقام التلقي إلى مقام الابتلاء والثبات والجزاء، والمنافقون يظهرون في مشهد الحصار ثم يعودون في سياق الإرجاف، وأزواج النبي ينتقلن من الخطاب المباشر إلى الغيبة في آداب البيت، في حين تجمع نون العظمة الأفعال الإلهية المتفرقة. ولذلك تمثل السورة نموذجًا مناسبًا لدراسة كيفية صيانة الوحدة النصية مع تعدد المقاطع.

المبحث الأول :الإطار النظري للإحالة الضميرية

المطلب الاول: الإحالة بين الدرس العربي ولسانيات النص

تدور مادة "حول" في العربية على النقل والصرف من جهة إلى أخرى، وهو معنى يلائم الوظيفة النصية؛ لأن العنصر المحيل ينقل ذهن المتلقي من لفظه الحاضر إلى مرجع يفسره (ابن منظور، ١٤١٤هـ، مادة "حول"). وفي التصور اللساني الحديث تعد الإحالة علاقة دلالية؛ إذ لا تفسر الوحدة الإحالية في ذاتها، بل بالرجوع إلى شيء آخر (Halliday & Hasan, 1976, pp. 31–33).

لم يصغ النحاة والبلاغيون القدماء نظرية موحدة باسم الإحالة النصية، لكن كتبهم عالجت جوهرها في أبواب المضمر والعائد والمطابقة والعود إلى اللفظ أو المعنى

والتقديم والتأخير وضمير الشأن والالتفات. فقد ربط سيبويه صلاحية الضمير بمعلومية صاحبه، وبحث ابن هشام عود الضمير، وجمع الزركشي قواعد ضمائر القرآن، وجعل عبد القاهر الجرجاني النظم قائمًا على تعليق الكلم بعضها ببعض (الجرجاني، ٢٠٠٤، ص ٥٥؛ الزركشي، ١٩٥٧، ج٤، ص ٢٣–٣٨؛ سيبويه، ١٩٨٨).

أعادت لسانيات النص تنظيم هذه الظواهر ضمن مفهوم الاتساق، ونقلت التحليل من حدود الجملة إلى السلسلة والمقطع والنص. ويعمل المتلقي في حل الإحالة على فحص المرشحين بحسب المطابقة والقرب والبروز الموضوعي والملاءمة الدلالية؛ ولذلك يقع الضمير عند نقطة التقاء السبك اللفظي بالحبك الدلالي (خطابي، ١٩٩١، ص ١٦–١٩؛ عفيفي، ٢٠٠١).

المطلب الثاني: أنواع الإحالة واتجاهاتها ومداها

تكون الإحالة نصية حين يوجد المرجع داخل النص، ومقامية حين يعرف من مقام التخاطب أو المعرفة المشتركة. وتنقسم النصية إلى قبلية يرجع فيها الضمير إلى سابق، وبعدية يتقدم فيها المحيل ويتأخر مفسره. كما تختلف بحسب المدى: فقد تكون داخل الجملة، أو بين جملتين، أو بين آيات متتابعة، أو ممتدة بين المقاطع. وقد يكون المرجع اسمًا أو ذاتًا، أو جماعة مركبة، أو حدثًا ومضمونًا، أو معلومًا مقدرًا من السياق. (خطابي، ١٩٩١، ص ١٧–١٩).

المعيار	الأنواع	القيمة التحليلية
المجال	نصية / مقامية	تحديد وجود المرجع داخل النص أو استمداده من المقام
الاتجاه	قبلية / بعدية	بيان حركة الاسترجاع أو انتظار المفسر
المدى	قريبة / متوسطة / ممتدة	قياس امتداد الرابط داخل الآية أو بين المقاطع
الشخص	متكلم / مخاطب / غائب	تمييز أطراف الخطاب
المرجع	اسم / جماعة / حدث / معلوم مقامي	تجنب حصر الضمير في أقرب اسم ظاهر

المطلب الثالث: الضمير بوصفه أداة اتساق

يحقق الضمير الاقتصاد اللغوي، لكنه لا يقتصر على منع التكرار؛ إذ يعلن أن الأفعال والأحكام المتتابعة تتعلق بالمرجع نفسه. وتبدأ السلسلة عادة باسم ظاهر أو نداء، ثم تستمر بضمائر متصلة أو مستترة أو منفصلة، وقد يعاد الاسم بعد مسافة لرفع الالتباس أو افتتاح طور جديد. لذلك تعد السلسلة الإحالية أنسب وحدة للتحليل من عدّ الضمائر منفردة. (عفيفي، ٢٠٠١).

تختلف وظائف الأشخاص الثلاثة: يثبت ضمير المتكلم مصدر القول ويظهر السلطة أو المشاركة، ويحول ضمير المخاطب الكلام إلى مواجهة وينظم الفئات المكلفة، ويواصل ضمير الغائب تتبع الشخصيات والجماعات من غير تكرار. وتزداد المسألة دقة في القرآن لتعدد مستويات الصوت بين الكلام الإلهي والقول المحكي. فالانتقال إلى قول المنافقين أو المؤمنين يغير مرجع "نا", والأمر "قل" ينشئ مستويين: خطابًا إلهيًا للنبي، ثم خطابًا نبويًا إلى جماعة أخرى.

ولا يعمل الضمير منفردًا؛ بل يتساند مع العطف والشرط والموصول والتكرار المعجمي وإعادة الاسم الظاهر. كما أن التحول في الشخص أو العدد أو النوع قد يدل على تغير المرجع، وقد يكون التفاتًا يعيد عرض المرجع نفسه من زاوية جديدة. والضابط في جميع الحالات هو بقاء المرجع قابلًا للاستعادة من المطابقة والنحو وحدود القول والسياق والمقام.

المطلب الرابع: ضوابط تعيين المرجع

١- المطابقة في الشخص والعدد والجنس، مع مراعاة الحمل على المعنى والتغليب.

٢- الصلاحية النحوية وعلاقة الفعل بفاعله ومفعوله وموقع الضمير في التركيب.

٣- حدود القول المحكي؛ لأن المخاطب والمتكلم داخله قد يختلفان عن مستوى السرد الأعلى.

٤- القرب اللفظي بوصفه قرينة مرشحة لا قاعدة حاكمة منفردة.

٥- البروز الموضوعي واستمرار السلسلة، فقد يعود الضمير إلى محور بعيد يتقدم على اسم قريب عارض.

٦- الملاءمة الدلالية والسياق السابق واللاحق، وإمكان عود الضمير إلى حدث أو مضمون.

٧- المقام وأسباب النزول وأقوال المفسرين والقراءات عند مواضع الاحتمال.

المبحث الثاني: أنماط الإحالة الضميرية في سورة الأحزاب

يعتمد هذا المبحث نموذجًا تحليليًا موحدًا يذكر الآية وموطن الشاهد ونوع الإحالة واتجاهها ومرجعها ودورها. ولا يعني اتحاد الصيغة اتحاد المرجع؛ فـ"نا" قد تعود إلى

الذات الإلهية، وقد تكون صوت المنافقين أو المؤمنين أو أهل النار، كما قد تنتقل كاف الخطاب بين النبي صلى الله عليه وسلم وزيد داخل القول المحكي.

الآية	موطن الشاهد	الضمير	نوع الإحالة	المرجع	الدور النصي والدلالي
٤	﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾	هو	نصية قبلية قريبة	الله	ربط الخبرين بمرجع واحد
٥	﴿هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾	هو	نصية قبلية إلى حدث	دعاؤهم لآبائهم	إسناد القسط إلى الفعل لا إلى الآباء
٧	﴿أَخَذْنَا... وَأَخَذْنَا﴾	نا	مقامية / متكلم	الله تعالى	توحيد مصدر الميثاق
٩	﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾	نا / هم	مقامية ونصية	الله / الأحزاب	جمع التدبير الإلهي والعدو في رابطة واحدة
١٢, ٢٢	﴿وَعَدَنَا﴾	نا	نصية داخل قول محكي	المنافقون / المؤمنون	تمييز الموقفين بحدود القول والسياق
٢٨, ٣٤	﴿كُنتُنَّ... بُيُوتِكُنَّ﴾	كن / نون النسوة	نصية قبلية ممتدة	أزواج النبي	حفظ وحدة مقطع الأحكام الأسرية
٣٣	﴿عَنكُم... يُطَهِّرَكُمْ﴾	كم	نصية مع تحول النوع	أهل البيت	إبراز جملة التطهير واتساع دائرة النظر
٣٧	﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾	نا / ك / ها	مقامية ونصية متعددة	الله / النبي / المرأة	تكثيف أطراف الفعل التشريعي
٤٤	﴿يَلْقَوْنَهُ﴾	الهاء	نصية قبلية متوسطة	الله تعالى	وصل الجزاء بمنشئ الرحمة
٥٣–٥٥	﴿سَأَلْتُمُوهُنَّ... عَلَيْهِنَّ﴾	هن	نصية قبلية متوسطة	أزواج النبي	استمرار أحكام البيت والحجاب
٥٩	﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾	هن	نصية قبلية مركبة	الأزواج والبنات ونساء المؤمنين	تعميم الحكم على المرجع المعطوف
٧٢	﴿يَحْمِلْنَهَا... حَمَلَهَا... إِنَّهُ﴾	ها / هن / هو	نصية قبلية متعددة	الأمانة / السماوات والأرض والجبال / الإنسان	توزيع الفعل والمسؤولية بين المراجع

المطلب الأول: الإحالة بضمائر المتكلم

يبرز ضمير المتكلم الجمع العائد إلى الله تعالى في مواضع تجمع الموضوعات المتعددة بمصدر واحد. ففي قوله: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم... وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٧) يحيط تكرار "أخذنا" بالميثاق ويصل الأنبياء بالمخاطب الحاضر "منك"". وفي مشهد الغزوة: ﴿فأرسلنا عليهم ريحًا وجنودًا لم تروها﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٩)، تجمع الجملة المدبر الإلهي والعدو الواقع عليه الفعل والمؤمنين المخاطبين. وفي قوله: ﴿نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقًا كريمًا﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٣١) توحد صيغة المتكلم مصدر الجزاء، بعد انتقال الحكم من جماعة الزوجات إلى كل واحدة على حدة. (الزركشي، ١٩٥٧؛ أبو حيان، ١٤٢٠هـ).

وتبلغ كثافة الشبكة الإحالية ذروتها في كلمة ﴿زوجناكها﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٣٧): "نا" لله تعالى، والكاف للنبي، والهاء للمرأة. فقد اجتمعت أطراف الفعل التشريعي في لفظ واحد بالغ الإيجاز. ويظهر النمط نفسه في ﴿إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٤٥)، و﴿إنا أحللنا لك أزواجك... قد علمنا ما فرضنا عليهم﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٥٠)، و﴿لنغرينك بهم﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٦٠)، و﴿إنا عرضنا الأمانة﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٧٢). وتربط هذه الصيغ الميثاق والنصر والجزاء والتشريع والرسالة والوعيد والأمانة بالإرادة والعلم الإلهيين. (الطبري، ٢٠٠١؛ ابن عاشور، ١٩٨٤).

أما ضمائر المتكلم في الأقوال المنقولة فتكشف اختلاف الأصوات والمواقف. يقول المنافقون: ﴿ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورًا﴾ (سورة الأحزاب، الآية ١٢)، ويقول المؤمنون: ﴿هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٢٢). الصيغة "وعدنا" واحدة، لكن المرجع والقيمة متضادان؛ فحدود جملة القول هي

التي تعين المتكلم، والسياق يحول الضمير إلى معيار للمقارنة بين الشك والتصديق. وفي مشهد القيامة: ﴿ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٦٧)، تربط ضمائر المتكلم الجماعة بماضي الطاعة ونتيجتها، وتكشف الاعتراف ومحاولة نقل المسؤولية في آن واحد. (الزمخشري، ١٤٠٧هـ؛ الرازي، ١٤٢٠هـ).

ويظهر ضمير المتكلم المفرد في قول النبي المأمور بتبليغه لأزواجه: ﴿فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلًا﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٢٨). فالأمر "قل" صادر من الله إلى النبي، ثم يصبح النبي متكلمًا داخل المقول، وتتحول الزوجات إلى مخاطبات. وهذا المثال يثبت ضرورة فصل مستوى الأمر عن مستوى الكلام المنقول.

المطلب الثاني: الإحالة بضمائر الخطاب

النبي صلى الله عليه وسلم هو المخاطب الفرد الأبرز. تبدأ السورة بـ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين... واتبع ما يوحى إليك من ربك... وتوكل على الله﴾ (سورة الأحزاب، الآيات ١–٣)، فيؤسس النداء المرجع، ثم تستمر ضمائر الخطاب المستترة والمتصلة من غير إعادة الاسم. وتتجدد السلسلة في مقاطع الأسرة: ﴿قل لأزواجك﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٢٨)، وقصة زيد (٣٧)، ووظائف الرسالة (٤٥–٤٨)، والأحكام الخاصة (٥٠–٥٢)، وآداب البيت (٥٣)، وأمر الجلباب (٥٩)، ومواجهة المنافقين (٦٠–٦٣). وبذلك تصل كاف الخطاب بين محاور متباعدة وتثبت مركزية النبي بوصفه متلقيًا للوحي وقائدًا ومبلغًا وصاحب بيت له أحكام خاصة. (ابن عاشور، ١٩٨٤).

ويؤدي الأمر "قل" وظيفة مفصلية؛ إذ يكون النبي مخاطبًا في الفعل، ثم يتغير المخاطب داخل القول. ففي ﴿قل لن ينفعكم الفرار... قل من ذا الذي يعصمكم﴾ (سورة الأحزاب، الآيتان ١٦–١٧) يعود ضمير "كم" إلى الجماعة المبلغة، لا إلى

النبي. وفي ﴿قل لأزواجك إن كنتن تردن...﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٢٨) تتحول الجهة من المفرد إلى جمع المؤنث، ويصبح النبي متكلمًا في "أمتعكن". ولا يمكن ضبط هذه المراجع إلا بحدود القول.

أما الخطاب الجمعي للمؤمنين فيفتتح عادة بالنداء: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٩)، ثم يستمر في واو الجماعة و"كم"، كما في تذكر نعمة الغزوة (٩)، والذكر والتسبيح (٤١-٤٣)، وأحكام الزواج والبيوت (٤٩، ٥٣)، والصلاة على النبي (٥٦)، والقول السديد (٦٩-٧١). ويحول هذا الخطاب الجماعة من موضوع مذكور إلى طرف مشارك في التكليف، ثم قد ينتقل إلى الغيبة عند وصف الجزاء: ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرًا كريمًا﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٤٤).

وتبني نون النسوة وكاف جمع المؤنث سلسلة خاصة بأزواج النبي في الآيات ٢٨-٣٤: "كنتن، تردن، فتعالين، أمتعكن، منكن، لستن، اتقيتن، بيوتكن، أقمن، آتين، أطعْن". ويضمن استمرار هذه الصيغ وحدة المقطع بين الاختيار والجزاء والقول والقرار في البيوت والعبادة. ثم تعود الزوجات بضمائر الغيبة في آداب البيت (٥٣، ٥٥)، مما يحولهن من مخاطبات مسؤولات إلى موضوع لأحكام تعامل المؤمنين معهن.

المطلب الثالث: الإحالة بضمائر الغيبة

ترتبط ضمائر الغيبة في كثير من النماذج بالإحالة النصية، لأنها تعود غالبًا إلى اسم أو جماعة سبق ذكرها. وفي قوله: ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٤) تعيد "هو" تنشيط اسم الجلالة وتربط الخبرين بفاعل واحد. وفي مقطع المنافقين يبدأ المرجع صريحًا: ﴿المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾ (سورة الأحزاب، الآية ١٢)، ثم يستمر عبر "منهم، عليهم، كانوا، المعوقين، رأيتهم، أعينهم،

أعمالهم، يحسبون، يودوا". وتمتد السلسلة بين الآيات ١٢-٢٠ فتصنع صورة سلوكية متصلة للجماعة، بدل أن تكون كل آية وصفًا منفصلًا. (خطابي، ١٩٩١).

وفي المقابل تتشكل سلسلة المؤمنين بين الخطاب والغيبة: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٩)، ثم ﴿ابتلي المؤمنون﴾ (سورة الأحزاب، الآية ١١)، و﴿رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٢٢)، و﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٢٣). وتجمع الضمائر صفات التذكر والابتلاء والتصديق والوفاء في هوية واحدة. ويظهر التوازن في إعادة الاسم الظاهر عند الحاجة، مثل "المؤمنين" و"المنافقين"، لتجديد المرجع وضبط السلسلة.

وقد يعود الضمير إلى غير العاقل أو إلى معنى كامل. ففي ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٥) لا يعود "هو" إلى "آبائهم"، بل إلى فعل الدعاء للآباء ومضمون الحكم؛ فالإحالة هنا إلى حدث. وفي ﴿إنا عرضنا الأمانة... فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٧٢)، تحفظ الهاءات "الأمانة" موضوعًا، وتحفظ نون النسوة السماوات والأرض والجبال مرجعًا جمعيًا، ثم تنقل "إنه" البؤرة إلى الإنسان. (أبو حيان، ١٤٢٠هـ؛ الزركشي، ١٩٥٧).

وتبرز الإحالة المركبة في آية الجلباب: ﴿قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٥٩). فضمائر جمع المؤنث تعود إلى المجموعات الثلاث المعطوفة مجتمعة، ولا يخصصها قرب "نساء المؤمنين" بهن وحدهن. كما يجمع ضمير "لهم" في الآية ٣٥ أصناف المسلمين والمسلمات والمؤمنين

والمؤمنات والقانتين والقانتات وغيرها في حكم المغفرة والأجر، بطريق التغليب بعد إثبات الطرفين صراحة.

المطلب الرابع: الإحالة بحسب الاتجاه والمدى

تظهر الإحالة القبلية بوضوح في النماذج المحللة؛ لأن السورة تقدم المرجع غالبًا بنداء أو اسم ظاهر ثم تتابعه بالضمائر. أما الإحالة البعدية الخالصة فمحدودة، إذ إن كثيرًا مما يبدو متقدمًا على مفسره يكون في الحقيقة معلومًا من المقام أو من بنية القول. وبرزت الإحالة المقامية في ضمير المتكلم الإلهي وفي ضمائر الخطاب التي يحددها مقام التنزيل والنداء. أما المدى فتدرج من داخل الجملة إلى السلسلة الممتدة عبر محور كامل.

تتحقق الإحالة القبلية القريبة حين يرد المرجع ظاهرًا ثم يتبعه الضمير داخل الآية نفسها، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ (الأحزاب: ٤)، إذ يحيل الضمير المنفصل «هو» إلى اسم الجلالة السابق عليه. وقد أسهمت هذه الإحالة في ربط جملتي القول والهداية وإسنادهما إلى مرجع واحد، ومنعت توهم انفصال الخبر الثاني عن الأول. ويتجلى النمط نفسه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٧)، حيث تعود الضمائر في «لعنهم» و«لهم» إلى «الذين يؤذون»، فتصل الإحالة بين الفعل وفاعليه وجزائهم، وتحقق تماسكًا دلاليًا داخل حدود الآية (عفيفي، ٢٠٠١).

أما الإحالة المقامية فتظهر في الضمائر التي لا تحتاج إلى مرجع لفظي سابق، لأن مقام التنزيل وهوية المتكلم أو المخاطب يكفيان لتعيينها. ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥)، يحيل ضمير المتكلم في «إنا» إلى الله تعالى إحالة مقامية، بينما تعود كاف الخطاب في «أرسلناك» إلى النبي صلى الله عليه

وسلم، وقد عُرف مرجعها من مقام الخطاب واستمرار السلسلة النبوية في السورة. وتؤدي هذه الإحالة دورًا في تثبيت طرفي العملية التواصلية، وهما مصدر الرسالة ومتلقيها، كما تربط وظائف الشهادة والتبشير والإنذار بفعل الإرسال الإلهي، من غير حاجة إلى تكرار الاسمين ظاهرين في كل موضع (الفقي، ٢٠٠٠).

ويتسع المدى الإحالي عندما يفصل بين الضمير ومرجعه عدد من الجمل أو الآيات مع استمرار المرجع في البنية الموضوعية. ويظهر ذلك في سلسلة المنافقين الممتدة من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ (الأحزاب: ١٢)، ثم استمرار الإحالة إليهم في ضمائر مثل «منهم»، و«عليهم»، و«كانوا»، و«رأيتهم»، و«أعينهم»، و«أعمالهم» في الآيات اللاحقة حتى الآية العشرين. وقد حافظت هذه السلسلة على حضور الجماعة نفسها عبر مقطع كامل، وربطت أقوالها ومواقفها وسلوكها ومآل أعمالها ضمن صورة نصية موحدة. وبذلك لا يقاس المدى الإحالي بالمسافة اللفظية وحدها، بل باستمرار المرجع موضوعيًا وإمكان استعادته من القرائن النحوية والدلالية والسياقية (المطرفي، ٢٠٢٥).

المبحث الثالث: الوظائف النصية والدلالية للإحالة الضميرية

المطلب الأول: تحقيق السبك والاقتصاد وتنظيم السلاسل

تعمل الإحالة على المستوى المحلي داخل الآية، كما في قوله: ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٤)، وعلى المستوى المقطعي حين تحفظ مرجع جماعة عبر آيات، وعلى المستوى الكلي حين تبني محورًا ممتدًا. ولا يعني الاقتصاد حذف الأسماء مطلقًا؛ فالسورة تعيد النداء أو الاسم إذا طال المدى أو تغير المحور.

ومن ثم يتناوب الضمير والاسم في إدارة ذاكرة المتلقي: الاسم يقدم المرجع أو يجدد حضوره، والضمير يحمله ما دام واضحًا.

تمثل الآية ٣٧ نموذجًا لشبكة متعددة المراجع: كاف "تقول" و"أنعمت" للنبي، وهاء "عليه" لزيد، وكاف "عليك" داخل القول لزيد، ثم كاف "نفسك" وضمير "تخشى" للنبي، والهاء في "مبديه" للمضمون المخفى، و"منها" و"ها" للمرأة، و"زوجناكها" تجمع الله والنبي والمرأة. وقد ربطت الضمائر مراحل النصح والإخفاء والقضاء والحكم التشريعي من غير تكرار الأسماء، لكن حدود القول والموقع النحوي ظلا ضروريين لمنع اختلاط المراجع.

وفي آيات أزواج النبي تتعاون الضمائر مع الشرط والتكرار: ﴿إن كنتن تردن... وإن كنتن تردن... من يأت منكن... ومن يقنت منكن... نؤتها﴾ (سورة الأحزاب، الآيات ٢٨-٣١). وفي آية الأصناف (٣٥) يتعاون التكرار الثنائي للأوصاف مع "لهم" الذي يجمع القائمة في حكم واحد. وفي آيات أهل النار تتساند الضمائر مع القول المحكي والانتقال الزمني، فتربط الكافرين بمآلهم ثم تنقلهم من الغيبة إلى الاعتراف المباشر.

المطلب الثاني: بناء المحاور الموضوعية

يبنى محور النبوة من تتابع الخطاب والغيبة والاسم الوظيفي. فالنبي مخاطب في المطلع، وموضوع للحكم في ﴿النبي أولى بالمؤمنين﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٦)، وقدوة في ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٢١)، وصاحب بيت في آيات الأسرة، ومبلغ في ﴿إنا أرسلناك شاهدًا﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٤٥). والتناوب بين "ك" و"هو" و"النبي" و"الرسول" يصل التكليف بالقدوة والتشريع والتبليغ.

ويبنى محور المؤمنين من الخطاب المباشر ثم وصف الموقف والجزاء؛ تبدأ السلسلة بالأمر بتذكر النعمة، ثم تعرض الابتلاء وتصديق الوعد والوفاء، وتعود إلى الذكر والقول السديد. وفي المقابل يبنى محور النفاق من "ما وعدنا" ومحاولات الانسحاب والتثبيط، ثم يستأنف في الإرجاف والوعيد. ويكشف التطابق الصرفي بين "وعدنا" في صوتي الفريقين أن هوية المرجع والسياق أسبق من الصيغة في إنتاج القيمة.

ويجمع محور البيت النبوي بين خطاب الزوجات وغيبة النساء في آداب البيت، ثم يتسع في آية الجلباب إلى بنات النبي ونساء المؤمنين. أما محور التدبير الإلهي فتجمعه نون العظمة في الميثاق والنصر والجزاء والتشريع والرسالة والوعيد والأمانة. وتعمل هذه السلسلة بوصفها مركزًا عقديًا أعلى يرد الموضوعات المتنوعة إلى مصدر واحد.

المطلب الثالث: تعدد المرجع وأثره في التفسير

ليس تعدد المرشحين عيبًا في النص، لكنه يتطلب ترجيحًا منضبطًا. ففي ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٥) يعود "هو" إلى مضمون الدعاء للآباء، لا إلى "الآباء" أنفسهم؛ لأن وصف "أقسط" متعلق بالفعل التشريعي. ويؤكد المثال أن القرب الشكلي لا يقدم على استقامة المعنى. (الطبري، ٢٠٠١؛ الزمخشري، ١٤٠٧هـ).

وفي آية التطهير ينتقل الخطاب من جمع المؤنث: ﴿بيوتكن... أقمن... آتين﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٣٣) إلى جمع المذكر: ﴿عنكم... يطهركم﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٣٣) ثم يعود إلى ﴿واذكرن... بيوتكن﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٣٣). يدخل السياق أزواج النبي في المقطع، وتدل صيغة المذكر على اتساع البؤرة أو مراعاة لفظ "أهل" ودخول النبي، كما استند فريق من المفسرين إلى أحاديث الكساء في إدخال علي

وفاطمة والحسن والحسين. والوظيفة النصية المؤكدة هي أن التحول أبرز جملة التطهير ووسع دائرة النظر، أما تفصيل المصداق فيتطلب جمع السياق والرواية ولا يحسم بالصرف وحده. (الطبري، ٢٠٠١؛ القرطبي، ١٩٦٤؛ ابن عاشور، ١٩٨٤؛ مسلم، د.ت.).

وفي الآية ٣٧ لا يصح رد الضمائر إلى أقرب مذكور: فكاف ﴿أمسك عليك زوجك﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٣٧) لزيد داخل القول، ثم يعود الخطاب إلى النبي في ﴿وتخفي في نفسك... وتخشى الناس﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٣٧). وتعود ﴿منها﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٣٧) إلى المرأة، وتجمع ﴿زوجناكها﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٣٧) ثلاثة مراجع. ويحدد هذا الحل أطراف القصة وعلة رفع الحرج عن المؤمنين في أزواج أدعيائهم بعد قضاء الوطر. (الطبري، ٢٠٠١؛ ابن عاشور، ١٩٨٤).

وفي آداب البيت النبوي تعود "هن" في ﴿سألتموهن... قلوبهن﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٥٣)، و"عليهن" في الآية ٥٥، إلى أزواج النبي، على الرغم من توسط آية؛ فالبروز الموضوعي واستمرار الحكم أقوى من الفصل العددي. وفي آية الجلباب تعود ضمائر جمع المؤنث إلى الأزواج والبنات ونساء المؤمنين جميعًا، لأن المرجع مركب عطفي. وفي ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٤٤) تعود الهاء إلى الله تعالى، لأن السلسلة بدأت بذكره وأفعاله، لا إلى النور أو الرسول. (القرطبي، ١٩٦٤؛ ابن عاشور، ١٩٨٤).

المطلب الرابع: التحول الضميري والالتفات

التحول الضميري أوسع من الالتفات؛ فهو يشمل كل انتقال في الشخص أو العدد أو النوع أو مستوى الصوت، سواء نتج عن دخول قول محكي أو تغير حقيقي للمرجع أو

غرض بلاغي. أما الالتفات فيقوم على العدول المقصود عن نسق إلى آخر مع إمكان استمرار المعنى على النسق الأول. لذلك لا يعد الانتقال من خطاب النبي إلى كلامه مع أزواجه التفاتًا محضًا، بل تغيرًا في مستوى القول، كما أن الانتقال من التأنيث إلى التذكير في آية التطهير قد يكون مرتبطًا باتساع المرجع. (ابن الأثير، د.ت.؛ طبل، ١٩٩٨؛ الزركشي، ١٩٥٧).

يؤدي الانتقال من الغيبة إلى التكلم إلى إبراز المباشرة الإلهية، كما في الانتقال من ﴿نعمة الله﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٩) إلى ﴿فأرسلنا عليهم ريحًا﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٩)، ومن التقرير عن الله إلى ﴿إنا أرسلناك﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٤٥) و﴿إنا عرضنا﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٧٢). ويؤدي الانتقال من خطاب المؤمنين إلى غيبتهم في الآيات ٤١–٤٤ إلى نقلهم من مقام التكليف إلى مقام وصف العناية والجزاء، مع بقاء المرجع معلومًا. وفي قوله: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٥٦) يتحول الخبر إلى خطاب مباشر يضم المؤمنين إلى الفعل المأمور به.

كما تكشف الأقوال المنقولة التحول من الغيبة إلى المتكلم، ولا سيما في وصف الكافرين ثم قولهم: ﴿يا ليتنا أطعنا الله... ربنا إنا أطعنا سادتنا﴾ (سورة الأحزاب، الآيتان ٦٦–٦٧). ويقرب هذا التحول مشهد الندم ويمنح الشخصيات صوتها المباشر. وبذلك لا يناقض التحول التماسك؛ لأن الأسماء والنداءات والقرائن تحفظ المرجع، فيتحول التنوع الأسلوبي إلى وسيلة للتنبيه والتشريف والتوبيخ والتقريب والتعميم.

الخاتمة

أظهر التحليل أن الإحالة بالضمير في سورة الأحزاب نظام نصي ودلالي يسهم في وصل الجمل والآيات، وحفظ المشاركين، وتنظيم الانتقال بين الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والمنافقين وأزواج النبي والجماعات الأخرى. كما ظهر أن قراءة الضمير ضمن السلسلة والمقطع أقدر على تفسير وظيفته من عزله في شاهد نحوي؛ لأن قيمته تتحدد بمدى السلسلة ومحور المقطع وأثر تعيين المرجع في التفسير والبلاغة.

النتائج

١- الإحالة الضميرية عنصر أساسي في بناء النص، ووظيفتها تتجاوز التعويض عن الاسم إلى وصل الجمل والآيات وتنظيم المشاركين واستمرار الموضوع.

٢- قدم التراث العربي أصولًا دقيقة للظاهرة في مباحث الضمير والعائد والمطابقة والعود إلى اللفظ والمعنى والالتفات، وأعادت لسانيات النص تنظيمها في إطار الاتساق والسلسلة والمدى.

٣- تعددت مراجع الضمائر بتعدد المقامات والأصوات، لكن السورة نظمتها في سلاسل واضحة تمنع اختلاط المتكلمين والمخاطبين والغائبين.

٤- كان ضمير المتكلم العائد إلى الله تعالى المركز الجامع للأفعال الإلهية، وربط الميثاق والنصر والتشريع والرسالة والجزاء والأمانة بمصدر واحد.

٥- مثّل النبي صلى الله عليه وسلم المخاطب الفرد الأبرز، وربطت كاف الخطاب بين التكليف والتوكل والغزوة والأسرة والرسالة والآداب.

٦- أنشأ الأمر "قل" مستويين للإحالة: خطابًا إلهيًا للنبي، وخطابًا نبويًا للجماعة المقصودة، وكانت حدود القول قرينة حاسمة.

٧- بنت نون النسوة وكاف جمع المؤنث سلسلة خاصة بأزواج النبي، وربطت المسؤولية الفردية والجماعية بالأحكام والآداب.

٨- برزت ضمائر الغيبة في السرد والوصف، فحافظت على مراجع المؤمنين والمنافقين والكافرين عبر الأفعال والأحوال والنتائج.

٩- لا يعود الضمير دائمًا إلى اسم مفرد؛ فقد يعود إلى حدث أو مضمون، أو جماعة مركبة، أو مرجع معلوم من المقام.

١٠- برزت الإحالة القبلية في النماذج المحللة، وبرزت المقامية في المتكلم والخطاب، وتنوع المدى بين قريب ومتوسط وممتد يبني محورًا كاملًا.

١١- تحقق الإحالة سبكًا محليًا ومقطعيًا وكليًا، وتتفاعل مع العطف والشرط والموصول والتكرار وإعادة الاسم الظاهر.

١٢- أسهمت السلاسل في بناء محاور النبوة والإيمان والنفاق والبيت النبوي والتدبير الإلهي والمصير والأمانة.

١٣- يؤثر تعيين المرجع مباشرة في التفسير، ولا تكفي قاعدة الأقرب؛ بل يلزم الجمع بين المطابقة والنحو وحدود القول والسياق والبروز وأقوال المفسرين.

١٤- مثلت الآية ٣٧ نموذجًا مكثفًا لتعدد المراجع، ومثلت آية التطهير نموذجًا لاتساع الدائرة وتحول النوع وأثر ذلك في الخلاف التفسيري.

١٥- التحول الضميري والالتفات لا يخلان بالتماسك، بل يغيران زاوية العرض ويؤديان وظائف التنبيه والتشريف والتوبيخ وتقريب المشهد.

التوصيات

١- إجراء دراسات موازية على سور مدنية أخرى للمقارنة بين السلاسل التشريعية والسردية.

٢- بناء مدونة رقمية لضمائر القرآن تربط الصيغة بالمرجع والاتجاه والمدى والخلاف التفسيري.

٣- دمج التحليل النصي في تدريس النحو والتفسير لإظهار الوظيفة داخل السورة، لا الاقتصار على المثال المعزول.

٤- توسيع الدراسة إلى أدوات الإحالة الأخرى، مثل أسماء الإشارة والموصولات والإحالة المعجمية، ضمن شبكة واحدة.

المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد. (د.ت.). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة). دار نهضة مصر.

٣. ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤). التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر.

٤. ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٤١٤هـ). لسان العرب (ط. ٣). دار صادر.

٥. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. (١٤٢٠هـ). البحر المحيط في التفسير (تحقيق صدقي محمد جميل). دار الفكر.

٦. إبراهيم، إبراهيم جميل محمد. (٢٠١٦). الإحالة الضميرية في القرآن الكريم: سورة طه نموذجًا. مجلة كلية دار العلوم، (٨٧)، ٤٩–١٢٨.

٧. إسماعيل، نائل محمد. (٢٠١١). الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني: دراسة وصفية تحليلية. مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، ١٣(C١).

٨. أنيس، تامر عبد الحميد محيي الدين. (٢٠٠٨). الإحالة في القرآن الكريم: دراسة نحوية نصية. مكتبة الإمام البخاري.

٩. بوقرة، نعمان. (٢٠٠٩). المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب. عالم الكتب الحديث وجدارا.

١٠. الجرجاني، عبد القاهر. (٢٠٠٤). دلائل الإعجاز (تحقيق محمود محمد شاكر، ط. ٥). مكتبة الخانجي.

١١. خماس، ميساء طه. (٢٠١٩). الإحالة الضميرية وأثرها في التماسك النصي للقرآن الكريم: سورة الملك أنموذجًا. مجلة كلية التربية، جامعة واسط، ١(٣٥)، ١٨٨–٢٠٨.

١٢. خطابي، محمد. (١٩٩١). لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب. المركز الثقافي العربي.

١٣. الرازي، فخر الدين. (١٤٢٠هـ). مفاتيح الغيب (ط. ٣). دار إحياء التراث العربي.

١٤. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. (١٩٥٧). البرهان في علوم القرآن (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم). دار إحياء الكتب العربية.

١٥. الزمخشري، محمود بن عمر. (١٤٠٧هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ط. ٣). دار الكتاب العربي.

١٦. الزناد، الأزهر. (١٩٩٣). نسيج النص: بحث فيما يكون به الملفوظ نصًا. المركز الثقافي العربي.

١٧. السيف، حمد عبد الله حمد. (٢٠٢٣). التماسك النصي في سورة التكوير من خلال الإحالة الضميرية: دراسة نصية. مجلة علوم اللغة العربية وآدابها. https://doi.org/10.26389/AJSRP.C090723

١٨. سيبويه، عمرو بن عثمان. (١٩٨٨). الكتاب (تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط. ٣). مكتبة الخانجي.

١٩. طبل، حسن. (١٩٩٨). أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية. دار الفكر العربي.

٢٠. الطبري، محمد بن جرير. (٢٠٠١). جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي). دار هجر.

٢١. عفيفي، أحمد. (٢٠٠١). نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي. مكتبة زهراء الشرق.

٢٢. الفقي، صبحي إبراهيم. (٢٠٠٠). علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية (ج١). دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٣. القرطبي، محمد بن أحمد. (١٩٦٤). الجامع لأحكام القرآن (تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط. ٢). دار الكتب المصرية.

٢٤. المصيفي، أمير رفيق عولا. (٢٠١٨). الإحالة بالضمائر في سورة الإنسان ودورها في الانسجام النصي. مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١(٤٤).

٢٥. المطرفي، سلطان محمد. (٢٠٢٥). الإحالة بالضمير: دراسة نحوية تطبيقية في ضوء ما ورد من صحيح الأحاديث القدسية. مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، (٣٥)، ١٨٥–https://doi.org/10.54940/ll365406812١٢ .

٢٦. مصطفى محيي الدين، افتخار سليم. (٢٠١٧). ظاهرة اتساع المدى الإحالي في نماذج من قصيدة التفعيلة. مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ٨(٢)، ١٨١–٢٠٦ .
https://doi.org/10.31436/jlls.v8i2.543

٢٧. مسلم بن الحجاج. (د.ت.). صحيح مسلم (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي). دار إحياء التراث العربي.

٢٨. يوسف، شفق. (٢٠٢٠). الإحالة بالضمير في سورة يس: دراسة في التماسك النصي وفق نموذج فان دايك للتحليل النصي. مجلة الآداب، جامعة بغداد، (١٣٣).

29. De Beaugrande, R.-A., & Dressler, W. U. (1981). Introduction to text linguistics. Longman.

30. Halliday, M. A. K., & Hasan, R. (1976). Cohesion in English. Longman.

References

1. Abū Ḥayyān al-Andalusī, M. ibn Y. (1420 AH). Al-Baḥr al-muḥīṭ fī al-tafsīr [The encompassing ocean in Qur'anic exegesis] (Ṣ. M. Jamīl, Ed.). Dār al-Fikr.

2. ʿAfīfī, A. (2001). Naḥw al-naṣṣ: Ittijāh jadīd fī al-dars al-naḥwī [Text grammar: A new approach to grammatical studies]. Maktabat Zahrāʾ al-Sharq.

3. Anīs, T. ʿA. M. al-D. (2008). Al-iḥālah fī al-Qurʾān al-Karīm: Dirāsah naḥwiyyah naṣṣiyyah [Reference in the Holy Qur'an: A textual grammatical study]. Maktabat al-Imām al-Bukhārī.

4. Būqurrah, N. (2009). Al-muṣṭalaḥāt al-asāsiyyah fī lisāniyyāt al-naṣṣ wa-taḥlīl al-khiṭāb [Basic terminology in text linguistics and discourse analysis]. ʿĀlam al-Kutub al-Ḥadīth and Jadārā.

5. De Beaugrande, R.-A., & Dressler, W. U. (1981). Introduction to text linguistics. Longman.

6. Al-Fiqī, Ṣ. I. (2000). ʿIlm al-lughah al-naṣṣī bayna al-naẓariyyah wa-al-taṭbīq: Dirāsah taṭbīqiyyah ʿalā al-suwar al-Makkiyyah [Text linguistics between theory and application: An applied study of the Meccan surahs] (Vol. 1). Dār Qubāʾ lil-Ṭibāʿah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʿ.

7. Halliday, M. A. K., & Hasan, R. (1976). Cohesion in English. Longman.

8. The Holy Qur'an.

9. Ibrāhīm, I. J. M. (2016). Al-iḥālah al-ḍamīriyyah fī al-Qurʾān al-Karīm: Sūrat Ṭāhā namūdhajan [Pronominal reference in the Holy Qur'an: Surah Taha as a model]. Journal of the Faculty of Dār al-ʿUlūm, (87), 49–128.

10. Ibn al-Athīr, Ḍ. al-D. N. Allāh ibn M. (n.d.). Al-mathal al-sāʾir fī adab al-kātib wa-al-shāʿir [The prevailing example in the literary art of the writer and poet] (A. Al-Ḥūfī & B. Ṭabānah, Eds.). Dār Nahḍat Miṣr.

11. Ibn ʿĀshūr, M. al-Ṭ. (1984). Al-Taḥrīr wa-al-tanwīr [Liberation and enlightenment]. Al-Dār al-Tūnisiyyah lil-Nashr.

12. Ibn Manẓūr, M. ibn M. (1414 AH). Lisān al-ʿArab [The tongue of the Arabs] (3rd ed.). Dār Ṣādir.

13. Ismāʿīl, N. M. (2011). Al-iḥālah bi-al-ḍamāʾir wa-dawruhā fī taḥqīq al-tarābuṭ fī al-naṣṣ al-Qurʾānī: Dirāsah waṣfiyyah taḥlīliyyah [Pronominal reference and its role in achieving cohesion in the Qur'anic

text: A descriptive analytical study]. Al-Azhar University–Gaza Journal, Humanities Series, 13(1C).

14. Al-Jurjānī, ʿA. al-Q. (2004). Dalāʾil al-iʿjāz [Proofs of inimitability] (M. M. Shākir, Ed.; 5th ed.). Maktabat al-Khānjī.

15. Khamās, M. Ṭ. (2019). Al-iḥālah al-ḍamīriyyah wa-atharuhā fī al-tamāsuk al-naṣṣī lil-Qurʾān al-Karīm: Sūrat al-Mulk namūdhajan [Pronominal reference and its effect on textual cohesion in the Holy Qur'an: Surah Al-Mulk as a model]. Journal of the College of Education, University of Wasit, 1(35), 188–208.

16. Khaṭṭābī, M. (1991). Lisāniyyāt al-naṣṣ: Madkhal ilā insijām al-khiṭāb [Text linguistics: An introduction to discourse coherence]. Al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī.

17. Al-Maṣīfī, A. R. ʿA. (2018). Al-iḥālah bi-al-ḍamāʾir fī Sūrat al-Insān wa-dawruhā fī al-insijām al-naṣṣī [Pronominal reference in Surah Al-Insan and its role in textual coherence]. Al-Quds Open University Journal for Humanities and Social Research, 1(44).

18. Muslim ibn al-Ḥajjāj. (n.d.). Ṣaḥīḥ Muslim [The authentic collection of Muslim] (M. F. ʿAbd al-Bāqī, Ed.). Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

19. Muṣṭafā Muḥyī al-Dīn, I. S. (2017). Ẓāhirat ittisāʿ al-madā al-iḥālī fī namādhij min qaṣīdat al-tafʿīlah [The phenomenon of extended referential range in selected examples of free-verse poetry]. Journal of Linguistic and Literary Studies, 8(2), 181–206. https://doi.org/10.31436/jlls.v8i2.543

20. Al-Muṭarrafī, S. M. (2025). Al-iḥālah bi-al-ḍamīr: Dirāsah naḥwiyyah taṭbīqiyyah fī ḍawʾ mā warada min ṣaḥīḥ al-aḥādīth al-qudsiyyah [Pronominal reference: An applied grammatical study in light of authentic sacred hadiths]. Umm Al-Qura University Journal of Language Sciences and Literature, (35), 185–212. https://doi.org/10.54940/ll36540681

21. Al-Qurṭubī, M. ibn A. (1964). Al-Jāmiʿ li-aḥkām al-Qurʾān [The comprehensive commentary on the rulings of the Qur'an] (A. Al-Bardūnī & I. Aṭfīsh, Eds.; 2nd ed.). Dār al-Kutub al-Miṣriyyah.

22. Al-Rāzī, F. al-D. (1420 AH). Mafātīḥ al-ghayb [Keys to the unseen] (3rd ed.). Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

23. Al-Sayf, Ḥ. ʿA. Ḥ. (2023). Al-tamāsuk al-naṣṣī fī Sūrat al-Takwīr min khilāl al-iḥālah al-ḍamīriyyah: Dirāsah naṣṣiyyah [Textual cohesion in Surah Al-Takwir through pronominal reference: A textual study]. Journal

of Arabic Language Sciences and Literature. https://doi.org/10.26389/AJSRP.C090723

24. Sībawayh, ʿA. ibn ʿU. (1988). Al-Kitāb [The book] (ʿA. al-S. M. Hārūn, Ed.; 3rd ed.). Maktabat al-Khānjī.

25. Al-Ṭabarī, M. ibn J. (2001). Jāmiʿ al-bayān ʿan taʾwīl āy al-Qurʾān [The comprehensive exposition of the interpretation of the verses of the Qur'an] (ʿA. ibn ʿA. al-M. Al-Turkī, Ed.). Dār Hajr.

26. Ṭabl, Ḥ. (1998). Uslūb al-iltifāt fī al-balāghah al-Qurʾāniyyah [The stylistic shift in Qur'anic rhetoric]. Dār al-Fikr al-ʿArabī.

27. Yūsuf, S. (2020). Al-iḥālah bi-al-ḍamīr fī Sūrat Yāsīn: Dirāsah fī al-tamāsuk al-naṣṣī wifqa namūdhaj Van Dijk lil-taḥlīl al-naṣṣī [Pronominal reference in Surah Ya-Sin: A study of textual cohesion according to Van Dijk's model of textual analysis]. Journal of Arts, University of Baghdad, (133).

28. Al-Zamakhsharī, M. ibn ʿU. (1407 AH). Al-Kashshāf ʿan ḥaqāʾiq ghawāmiḍ al-tanzīl [The revealer of the truths of the mysteries of revelation] (3rd ed.). Dār al-Kitāb al-ʿArabī.

29. Al-Zannād, A. (1993). Nasīj al-naṣṣ: Baḥth fīmā yakūnu bihi al-malfūẓ naṣṣan [The fabric of the text: An investigation into what makes an utterance a text]. Al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī.

30. Al-Zarkashī, B. al-D. M. ibn ʿA. (1957). Al-Burhān fī ʿulūm al-Qurʾān [The proof in the sciences of the Qur'an] (M. A. al-F. Ibrāhīm, Ed.). Dār Iḥyāʾ al-Kutub al-ʿArabiyyah.